

علي عفيفي علي غازي | Aly Afify Aly Ghazi \*

## المرأة البدوية في كتابات الرحّالة الغربيين

### The Bedouin Woman in the Writings of Western Travelers

**ملخص:** تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على صورة المرأة البدوية في العراق والجزيرة العربية، كما رسمها الرحّالة الغربيون عبر أربعة قرون، بين القرن السادس عشر والقرن العشرين. وتقوم الدراسة بذلك عبر عرض رؤيتهم لشكلها وصفاتها وحياتها وعاداتها وتقاليدها وقيمها ودورها في بيتها وقبيلتها والأعمال التي تقوم بها في ديرتها، مع التركيز على نشاطها في حياة القبيلة السياسية والعسكرية، وتقديم صور من حياة الفتاة البدوية الاجتماعية والعاطفية ودورها في الزواج وما يمثله لها، ثم حملها وأمومتها ودورها في تربية أطفالها ورعايتهم والعناية بهم. كلمات مفتاحية: المرأة البدوية، العراق، الجزيرة العربية، الرحّالة.

**Abstract:** This research explores the depiction of Bedouin women in Iraq and Arabia by Western travellers in the period between the sixteenth and the twentieth centuries. The author focuses on how these Western travellers to the region recorded the appearance, life habits, traditions, values, domestic and tribal roles performed by women. Special attention is given to the tribal political and wartime functions women carried out with focus on the activities in the political and military life of the tribe. It presents images from the social and emotional life of the Bedouin girl, her role in marriage and what it represented for her, pregnancy and motherhood and her role in raising and looking after children.

**Keywords:** Bedouin Women, Iraq, Arabia, Travellers.

(18) \* باحث بمركز قطر الفني، ويعمل محرراً لمشروع «قطر ودول الخليج العربي في الوثائق البريطانية».

## مقدمة

تُعد كتابات الرحّالة الغربيين مصدرًا مهمًا لدراسة تاريخ الجزيرة العربية والعراق؛ إذ توافد على المنطقة عبر أربعة قرون عددٌ كبيرٌ من الرحّالة، تنوّعت طبيعتهم واختلفت توجهاتهم، كتبوا عن كثير من جوانب المجتمع البدوي بصورة مباشرة، أو بين ثنايا كتاباتهم؛ حيث يكشف التنقيب في مذكراتهم عن مواد جديدة تُثير الاهتمام المتزايد بالمرأة ودورها في تاريخ المنطقة. ومن هنا، تتمثل أهداف هذا البحث في محاولة تقديم صورة للمرأة البدوية، من خلال تحليل ما ورد في كتابات هؤلاء الرحّالة بتتبع الإشارات المتناثرة بين طيّات صفحات مؤلفاتهم، والمقارنة بين ما ذكره، لنرى إن كان قد اتفق مع الواقع أم أن الرحّالة جانبهم الصواب في كثير مما ذكره عن المرأة البدوية في أوصافها المادية والمعنوية ودورها في الأسرة البدوية والمجتمع القبلي، والحياة اليومية في «ديرة» المخيم.

تركت حياة الصحراء بصماتها على لغة العرب، فإذا كان العرب أهل بداءة وفقر، فإن اللغة العربية تأثرت كثيرًا بألفاظ البيئة التي رسمتها لهم الصحراء المقفرة بجفافها وقساوتها وخشونتها وإبلها وخيلها، وفي مقدم هذه الألفاظ المرأة التي أطلق عليها العرب أسماء وأوصافًا تحمل الصفات ذاتها، مثل أسماء الناقة والفرس، وأوصافها وصفاتها المادية والمعنوية، فمثلًا وصف العرب عيون المرأة بالكحلاء والنجلاء والجحطاء، وهي أوصاف عيون الفرس، وكذلك الأعناق فهي تلعاء وسطعاء وقصباء. وكلما كانت المرأة قريبة الشبه بالناقة السمينة (الكناز)، غدت حبيبة إلى نفوسهم، وكلما كانت قريبة الشبه من الفرس (الستهاء) أصبحت الأثيرة لديهم، وكذلك يُسمى البدو النساء بأسماء منقّرة وخشنة مثل خشونة الصحراء المقفرة. ولا تُعبّر الصور الشعرية التي رسموها في قصائدهم عن الحقيقة أو تُخبر عن الواقع<sup>(1)</sup>. ويبيّن ابن خلدون تأثر العرب بالبداوة بقوله: «إن العرب أكثر بداءة من سائر الأمم، وأبعد مجالاً في القفر... وإنهم بطبيعة التوحش الذي فيهم أهل انتهاب وعبث؛ ينتهبون ما قدروا عليه من غير مبالغة ولا ركوب مخاطر، ويفرون إلى منتجعهم بالقفر»<sup>(2)</sup>. وانبته بعض الرحّالة الغربيين الذين زاروا الجزيرة العربية والعراق إلى تأثر المرأة البدوية كثيرًا ببيئتها الجغرافية، وحبّها وعشقها حياة الحرية التي توفرها لها الصحراء، وسعادتها ورضاها بدورها في الأسرة والقبيلة والمضارب.

تهدف هذه المقدمة إلى توضيح أن ما لاحظته الرحّالة ليس جديدًا على حياة البادية أو تفرّدًا لهم، بل يرجع إلى عهود ما قبل الإسلام.

تجيب هذه الدراسة، وفق هذه الرؤية، عن التساؤلات التالية: هل رسم الرحّالة الغربيون صورة واقعية للمرأة البدوية؟ وكيف كانت نظرهم إلى ما تتمتع به من صفات مادية ومعنوية؟ هل انتقدوا الدور الذي تقوم به؟ أم هل أنهم أشفقوا عليها لما تحمله من واجبات ومشاق يومية؟ وكيف كان تقويمهم لدورها في المخيم البدوي إيجابيًا أم سلبيًا؟ هل لاحظوا تمتعها بحرية وبتقدير من الرجل البدوي؟ أم هل دونوا تعرّضها للقمع وعدم التقدير في مجتمع يتمتع بصفة ذكورية ونظرة دونية إلى المرأة، كما

(1) خليل عبد الكريم، العرب والمرأة: حفرية في الأساطير المخيم (بيروت: دار الانتشار العربي، 1988)، ص 8.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة (القاهرة: المكتبة التجارية، د.ت.[])، ص 151.

كان شائعاً في الأدبيات الأوروبية تحت تأثير ما تركته ترجمة كتاب ألف ليلة وليلة في المخيلة الغربية عن المرأة الشرقية عموماً والبدوية خصوصاً؟ هل لاحظ الرحالة الغربيون أن المرأة البدوية متدمرة من حياتها؟ أم أنها سعيدة بدورها في قبيلتها؟ أكانت مصونة ومقدرة ومحترمة أم إنها متهكّة الحقوق؟ ما مصيرها إذا ما تعرضت قبيلتها للغزو؟ ما القيم التي يمثلها الزواج وإنجاب الأطفال والأمومة في حياة المرأة البدوية؟ هذا ما ستحاول الدراسة الإجابة عنه من خلال كتابات الرحالة الغربيين.

## الصفات المادية والمعنوية

يرى الرحالة الغربيون أن بشرة المرأة البدوية سمراء، وعيونها حوراء لوزية، «تفيض بالنار التي تقدح من أحداقهن السود، أما أيديهن وأقدامهن ففيها ما يُلهب غيرة أكثر حسان باريس أناقة، وقودوهن هيفاء»<sup>(3)</sup>. ويرى ريجيس دوبريه أن «النساء العربيات بشرتهن زيتونية اللون، وقسماتهن خشنة عريضات المناكب»<sup>(4)</sup>. وتصف الليدي درور بنت الصحراء بأنها ليست «ببدينة أو مترهلة. فحياتها كلها تعب وإجهاد، فلا سبيل لأن تتكسد اللحم على الجسم»<sup>(5)</sup>. وتُضيف الليدي أن بلنت إنها «قصيرة، نحيلة وذائوية، لها خصلة شعر رمادي طويلة مُجمعة، وعينان ضعيفتان [...] مُتهكّة تماماً»<sup>(6)</sup>. «أطول أو يماثلن الرجال في الطول، ومن المُعتاد أن ترى الكبيرة منهن بدينة أو ثقيلة المشية. أما بالنسبة للفتيات فمن الجميلات [...] وهن عادة بوجوه صَبوحة باشة»<sup>(7)</sup>. أما شارل هوبير، فيقول: إن «النساء اللواتي رأيتهن كُن على قلتهن جميلات وممشوقات. عيونهن جميلة جداً كما في كل الشرق، لكن لونهن كان باهتاً ومَرَضِيّاً»<sup>(8)</sup>.

يُقدم ولستيد أيضاً وصفاً لسيدة البادية، وهي زوج أحد الشيوخ، بأنها «فتاة شابة جميلة [...] فارعة الطول [...] ذات جمال أنثوي أخاذ [...] هيأتها ومشيتها في منتهى الرشاقة [...] شعرها يتدلى في جدائل على صدرها [...] وجنتاها رائعتا اللون، وشفاتها حمراوان، مكنترتان ممتلئتان، وأسنانها بيضاء ولؤلؤية [...] تبدو بمنتهى البراءة والسذاجة»<sup>(9)</sup>. وترى أن بلنت أن المرأة البدوية «مخلوقة رائعة بوجه

(3) كارلو كلاوديو جوارماني، نجد الشمالي: رحلة من القدس إلى عُنيزة في القصيم، ترجمة وتعليق أحمد إيش (أبو ظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2009)، ص 88.

(4) ريجيس دوبريه، رحلة دوبريه إلى العراق 1807-1809، ترجمة وتعليق بطرس حداد، تقديم عباس العزاوي (بغداد: شركة الوراق للنشر المحدودة، 2011)، ص 130، 131.

(5) الليدي درور، على ضفاف دجلة والفرات، ترجمة فؤاد جميل (لندن: دار الوراق للنشر، 2008)، ص 310.

(6) ليدي آن بلنت، رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية، ترجمة أحمد إيش (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2005)، ص 166.

(7) الليدي آن بلنت، قبائل بدو الفرات عام 1878، ترجمة أسعد الفارس ونضال خضر معيوف (دمشق: دار الملاح للطباعة والنشر، 1991)، ص 442.

Lady Anne Blunt, *Bedouin Tribes of the Euphrates* (New York: Harpers & Brothers Publisher, 1879), pp. 397-398.

(8) شارل هوبير، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878-1882: الحماة، الشمر، القصيم، الحجاز، ترجمة إيسار سعادة (بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2003)، ص 73.

(9) جيمس ريموند ولستيد، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي (بغداد: مكتبة النهضة العربية؛ مكتبة دار إحياء التراث العربي، 1984)، ص 112.

رائع الجاذبية [...] وحتى العينين كانتا مشعتين»<sup>(10)</sup>. وتُصيف في وصفها «لبية حسنة التريبة [...] وجهها جذاباً»<sup>(11)</sup>. وتصف، جوزه، زوج سطاتم شيخ الرولة، بأنها «جميلة ورشيقة بقسمات ناعمة، ولطيفة جداً»<sup>(12)</sup>. ويصف لوي جاك روسو المرأة البدوية بأنها «طويلة القامة، مهيبة القوام، رائعة الشعر، المكون من جدائل تتحدر بلا مبالاة على كتفيها لتصل إلى وسطها، أما ملامحها العامة فتبدو جميلة رغم أنها نصف مغطاة بنقابها»<sup>(13)</sup>.

ويُصيف جون آشر إن نساء بني لام «على جانب غير يسير من الجمال في شكلهن وحركاتهن الرشيقة»<sup>(14)</sup>. وتؤيده الفرنسية مدام ديولافوا في أن نساء بني لام «جميلات الملامح [...] بقاماتهن الفارعة، وسماتهن الجذابة، وشعورهن المصفورة والمتدللية إلى ما يقرب من النحور، يستحقن كل تمجيد وتحسين»<sup>(15)</sup>. وتُفسر آن بلنت السمنة والشعر الأشقر لدى المرأة البدوية عند بني لام، بأنها «دلائل دم أجنبي»<sup>(16)</sup>.

يرصد بيترو ديلالافاليه «النساء حاسرات الوجوه، ولا يتحجبن»<sup>(17)</sup>، فظاهرة الحجاب من خصائص الحياة المدنية للمرأة، لأن تغطية وجهها وسيلة حماية لها من أي إنسان غير زوجها، والأمر يختلف في البادية، فالنسوة يمشين سافرات<sup>(18)</sup>. وتُشير جيرتروود بيل إلى أن النساء في البادية «غير مُحجبات [...] كانت وجوههن من مستوى الفحم، وتحتة موشومة بلون نيلي، وشعورهن تتدلى في ضفيريّتين على كل جانب»<sup>(19)</sup>. ويُصيف فريزر إنهن إذا ما نزلن المدن والقرى فإنهن «يظفن في الشوارع غير مُحجبات»<sup>(20)</sup>.

(10) بلنت، قبائل بدو الفرات، ص 350؛ 313، 312، Blunt,

(11) بلنت، رحلة إلى نجد، ص 128.

(12) بلنت، قبائل بدو الفرات، ص 390؛ 350، Blunt, p.

(13) لوي جاك روسو، رحلة إلى الجزيرة العربية سنة 1808، ترجمة وتحقيق بطرس حداد (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010)، ص 73.

(14) جون آشر، «مشاهدات جون آشر في العراق»، ترجمة جعفر خياط، مجلة سومر، مج 21، ج 1، 2 (1965)؛ جون آشر، «مشاهدات جون آشر في العراق»، ترجمة جعفر خياط، في: رحالة أوروبيون في العراق (لندن: دار الوراق للنشر المحدود، 2007)، ص 174.

(15) ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا: من المحمرة إلى البصرة وبغداد 1299هـ - 1881م، ترجمة علي البصري، تقديم مصطفى جواد (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007)، ص 167.

(16) آن بلنت، الحج إلى نجد مهد العرق العربي، ترجمة صبري محمد حسن، تقديم ومراجعة رؤوف عباس حامد (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2007)، ص 127.

(17) بيترو ديلالافاليه، رحلة ديلالافاليه إلى العراق: مطلع القرن السابع عشر، ترجمة بطرس حداد (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006)، ص 66.

(18) جمال محمود حجر، الرحالة الغربيون في المشرق الإسلامي في العصر الحديث (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008)، ص 156، 157.

(19) ليدي بيل، رسائل جيرتروود بيل 1899-1914: فلسطين. الأردن. سورية وحائل، ترجمة رزق الله بطرس (بيروت: دار الوراق للنشر المحدود، 2008)، ص 46-47.

(20) جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد سنة 1834، ترجمة جعفر الخياط (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006)، ص 150.

ويرى جوارماني أن ذلك دليل على نبل المحتد، و«من مزايا النبالة»، لكنه مع ذلك يذهب إلى أنها ليست إلا «مزايا بائسة»<sup>(21)</sup>. وتبقى الزوجات والبنات منتقبات عند آل العروق، وهي عادة أهل نجد، التي تختلف فيها عن البدو<sup>(22)</sup>. وتُسمى المرأة التي لا ترتدي نقاباً على وجهها «حُرمتن مدلع»<sup>(23)</sup>. ولعل ذلك نتج من أن المرأة البدوية تُشارك الرجل في كل شيء حتى الغزو، ومن ثم فإن عدم تغطية وجهها «عملي أكثر حين تُساعد زوجها في العمل، وحين تتعامل مع الحياة الصعبة في الصحراء»<sup>(24)</sup>. لكن البدويات عندما يتبهن إلى أن غريباً ينظر إليهن، فإنهن من باب الحشمة «يرفعن الكوفية التي تُحيط بالرقبة إلى الوجه حتى مستوى العيون التي تبقى وحدها مكشوفة»<sup>(25)</sup>.

يُشير الرحالة أيضاً إلى أن البدو يتغنون في أشعارهم وأغانيتهم بالمرأة الجميلة التي يُطلقون عليها «خرعوبة»، ويرون أن جمال المرأة يكمن في الخصر النحيل والعجز الكبير، خصوصاً إذا كانت تتمتع بعيون سوداء جميلة، ويُطلقون عليها «مدعج»، أما إذا كانت جيدة الملبس ونظيفة المظهر وكحيلة العينين، فيقولون عنها «الحُرمة عليها دلّ»<sup>(26)</sup>.

ولنساء البدو، كما يذكر جوارماني، شعر كستنائي أو أسود، ويندر بينهن المرأة ذات الشعر الأشقر. وسواء كُن شقراوات أم سمراوات، لهن محيا جميل. وشعورهن طويلة، لماعة بفضل مرهم عديم الرائحة يُقمن بتركيبه من الذرور الناعم جداً المُتخذ من لحاء النخيل، ومن الدهن المُصفى من إلية الخروف<sup>(27)</sup>. وتتدلى على جانبي وجوههن جديلتان سوداوان مخضبتان بالحناء<sup>(28)</sup>. ولا تختلف طريقة ضفر الشعر بين الرجل والمرأة، غير أنها هي تُحب دهن شعرها بالزيت أو الزبد. ولا يقف البدو من لون الشعر موقف اللامبالي، وذلك لأن اللون الأشقر مثل الذهب موضع تقدير خاص لديهم، وللحصول على هذا اللون تغسل النساء شعورهن ببول الإبل. ويعتقد البدو أن الشعر الطويل لدى المرأة علامة الذكاء، فإذا كان لفتاة شعر طويل وأسنان بيضاء مثل حبات الأرز، وعينان كعيني الغزال، وتديان مثل الرمان، كانت فتاة مُكتملة. وعندما تتزوج يُقصّ شعرها فوق الجبهة لتجميلها<sup>(29)</sup>.

على الرغم من النظرة التي تضع المرأة البدوية في مكانة أدنى من مكانة الرجل، فإن لها في نفوس

(21) جوارماني، نجد الشمالي، ص 39.

(22) بلنت، رحلة إلى نجد، ص 168، 169.

(23) جوهن جاكوب هيس، بدو وسط الجزيرة: عادات، تقاليد، حكايات وأغان، ترجمة محمود كيبو، تحقيق وتقديم محمد سلطان العتيبي (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2010)، ص 253.

(24) حجر، الرحالة الغربيون، ص 179.

(25) روسو، ص 73.

(26) هيس، ص 252-253.

(27) جوارماني، نجد الشمالي، ص 32، 89.

(28) درور، ص 91.

(29) جوسان وسافينيك، «أعراف قبيلة الفقراء (6)»، ترجمة محمود سلام زناتي، مجلة العرب، الجزء 7، 8، السنة 28 (يوليو - أغسطس 1993)، ص 507.

الجماعة القبلية احتراماً خاصاً ورفعة، وتمتع بحرية قلما تتمتع بمثلها امرأة غيرها<sup>(30)</sup>. وكي تكون المرأة موضع تقدير، لا بد من أن تكون من أسرة طيبة، وتربيتها ممتازة. ومن الناحية الجسدية يتطلبون فيها وجهاً ذا قسما منتظمة ووجهة عريضة بيضاء وعيني مها، متوجّتين بحاجبين سوداوين وخدين في لون التفاحة الناضجة وتديين مثل الرمان، وأسنان بيضاء مثل البَرْد، وشعرًا بلون الذهب. ويتطلبون من المرأة المتزوجة الكرم عند لقاء الضيوف والوفاء لزوجها والإخلاص لأسرتها، وهم يحتقرون البدوية الفاجرة أو البغي التي تبحث عن عشاق، والنطلانة التي تسرق من الخيمة، أما الثرائرات والمُهملات والقدرات فلا يُطيقونهن<sup>(31)</sup>.

### دور المرأة في حياة القبيلة

تضطلع المرأة البدوية بدور كبير في البادية؛ إذ تُستشار حتى في القضايا المهمة<sup>(32)</sup>، ويقع على عاتقها القيام بالعمل الرئيس في مضارب الخيام، وذلك لاعتقاد البدوي أن مزاولة أي عملٍ عدا القتال وركوب الخيل والفروسية والصيد بالصقور أمر ماس بكرامته<sup>(33)</sup>، ولهذا تقوم المرأة بجميع «الأعمال المتعلقة بالحياة اليومية، إلى جانب العناية بالأطفال والطبخ والأعمال المنزلية، وتسهر على إدامة النار مشتعلة، وتطحن الحبوب لصنع الخبز، وتعتني بالحيوانات الصغيرة: الغنم والماعز، وهذا يعني أن حياتها في غاية الصعوبة»<sup>(34)</sup>.

من أشق الأعمال التي تقوم بها المرأة البدوية جلب الماء وجمع الحطب والبَعْر؛ لأجل طبخ الطعام وتحضير الخبز، كما ينبغي لها أن تحلب النوق والنجاج والماعز<sup>(35)</sup>، وتشمل أعمالها أيضًا غزل النسيج على «النول» الذي تستمد منه قطع الخيمة والأقمشة الخشنة التي تصنع منها الأكياس والأغطية، وفي بعض الأحيان التّمصان أيضًا. وتُساعد في أعمال الرعي والصيد، ويتولى الرجال هذه المهمة أحيانًا، كما قد يقومون بغزل النسيج أحيانًا أخرى، ويُبرر أوبنهايم ذلك بأنه لأجل معالجة الضجر الذي قد يُصيبهم<sup>(36)</sup>. وفي الرحيل تُلزم المرأة البدوية بطي الخيمة وتحميلها على ظهور الجمال لتغيير المضرب

(30) ويليام ب. سيروك، مغامرات في بلاد العرب، ترجمة عارف حديفة ونبيل حاتم (دمشق: دار المدى للنشر والتوزيع، 2006)، ص 72.

(31) جوسان وسافينياك، «أعراف قبيلة الفقراء (4)»، ترجمة محمود سلام زنتاني، مجلة العرب، ج 3، 4، السنة 28 (آذار/ مارس - نيسان/ أبريل 1993)، ص 186.

(32) ماكس أوبنهايم، رحلة إلى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، مراجعة وتدقيق محمود كبيبو (لندن: دار الوراق للنشر، 2007)، ص 153، 154.

(33) ماكس أوبنهايم وآرش برونيلش وفرنزاكاسل، البدو، الجزء الأول: ما بين النهرين «العراق الشمالي» وسورية، ترجمة مشيل كيلو ومحمود كبيبو تحقيق وتقديم ماجد شبر (لندن: شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2007)، ص 88.

(34) هيس، ص 255.

(35) ميهاي فضل الله الحداد، رحلتي إلى بلاد الرافدين وعراق العرب، ترجمة ثائر صالح (بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2004)، ص 89، 90.

(36) أوبنهايم، ص 154-156.

وإقامتها وترتيبها<sup>(37)</sup>. ويقع على عاتقها إقامة بيوت الشعر ونصبها وهدمها وطبها وتحميلها وتنزيلها عن ظهور الدواب، حينما يتعين إقامة المضرِب أو نقضه، كما أن عليها تدبّر الوقت لتربية الأطفال ورعايتهم<sup>(38)</sup>، وهي أم العيال وراعية البيت. وهناك من يعتقد أن ما تقوم به المرأة من أعمال نتجت من النظرة الذكورية في المجتمع التي تُفضل الرجل على المرأة، لكنّ «هذه الأعمال تجعل الحياة البدوية متوازنة، فأعمال الرجل خطيرة وقد تُنهِي حياته» في أي لحظة<sup>(39)</sup>.

يصف لوي جاك روسو النساء البدويات بأنهن «نشطات جداً، ينصبُّ اهتمامهن على غزل الأصواف ونسج الأبسطة والخِرجة التي توضع على ظهر الدواب، والأنسجة المفيدة لمختلف الاستعمالات، وخاصة الضرورية لإعداد الخيام [...] والعناية بالحليب ومشتقاته، والأعمال البيئية اليومية، كإعداد الطعام، وتنظيف الخيول والجمال. ونستطيع القول بأن واجبات النساء ومسؤوليتهن هي أكبر، لا بل أثقل مما يقع على عاتق الرجال»<sup>(40)</sup>. وتُضيف أن بلنت إن نساء البدو «نشاطات في تأدية كل الأعمال في المخيم، يحضرن الحطب ويسحبن الماء وينصبن الخيام ويهدمنها، ويحلبن النعاج والنوق ويقمن بعمليات إعداد اللبن، ويطبخن الطعام، ويعشن بمعزل عن الرجال، ولكن لا يُحجر عليهن، أو يُوضعن تحت الحظر والمراقبة. تخرج النساء في الصباح لجمع الحطب، ومعهن الجمال أو الحمير، وكل من صادفناهن وجدناهن يعملن في همّة عالية وبمَعَشْر حسن؛ إذ يختلطن ويزرن خيام بعضهن بعضاً ومعهن الأطفال، ولديهن القدرة على الاختلاط بالأقارب الذكور كل حسب درجة قرابته، إلا أن مكاتهن الاجتماعية في حالة يرثى لها، ولكنهن لا يتذمرن من ذلك»<sup>(41)</sup>. بينما يُقصر أوبنهايم «المهارات اليدوية لنساء البدو على غزل ونسج أقمشة خام، وخياطة قطع قماش يتمّ شراؤها لصنع الثياب»<sup>(42)</sup>. ويُضيف هارولد ديكسون إنها «تنسج الستائر التي تقسّم الخيمة إلى أجزاء في أوقات فراغها»<sup>(43)</sup>. ويُطلق البدو على المرأة التي لا مهارات لديها، «رفلي»، أي «لا تستطيع الطبخ، ولا تُجيد صنع الثياب، وبيتها متسخ»<sup>(44)</sup>.

تقوم المرأة البدوية مقام زوجها في الترحيب بالضيوف في خيمتها عند غيابه، وتُكرم ضيافتهم وإنزالهم وإعداد الطعام لهم، وإطعامهم وتأمين راحتهم<sup>(45)</sup>. كما بيدها شرف زوجها وسُمعته، وتقع على عاتقها

(37) جوسان وسافينيك، «أعراف قبيلة الفقراء (2)»، ترجمة محمود سلام زناتي، مجلة العرب، ج 11، 12، السنة 27 (تشرين الثاني/ نوفمبر - كانون الأول/ ديسمبر 1992)، ص 756.

(38) كارلو كلاوديو جوارماني، نجد الشمالي، ص 39؛ كارلو جوارماني، شمال نجد، رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم في العام 1864، ترجمة صبري محمد حسن (القاهرة: دار الهلال، 2010)، ص 48.

(39) عدنان العطار، تقاليد الزواج الدمشقي: البدوي والريف والحضري (دمشق: دار سعد الدين للنشر والتوزيع، 1999)، ص 22.

(40) روسو، ص 93.

(41) بلنت، قبائل بدو القرات، ص 442؛ Blunt, pp. 397-398.

(42) أوبنهايم وبرونيلش وفرنركاسكل، ج 1، ص 87.

(43) هارولد ديكسون، عرب الصحراء (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1996)، ص 21.

(44) هيس، ص 254.

(45) عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان 1845-1922م (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2002)، ص 307.

مسؤولية تأمين ما يحتاجه الضيف من الطعام. ومُجمل القول، إن «عليها أن تجعل اسم زوجها مشهوراً بين أقرانه العرب»<sup>(46)</sup>.

أما وظيفة زوجات شيوخ العشائر والقبائل فالجلوس فحسب «بكسل مطلق»، تُبرره آن بلنت أنه «نتيجة الحكم الاستبدادي»<sup>(47)</sup>. ولا نتفق هنا مع ما ذهبت إليه الرحّالة البريطانية؛ وذلك لأن عدم قيام الشبيخة بعمل في القبيلة يرجع إلى أن العُرف القبلي يحظر عليها ذلك، كما أن غالبية الشيوخ من الأغنياء، الأمر الذي يجعلهم يمتلكون من الإماء ما يغني الشبيخة عن القيام بأي عمل يدوي. ومع ذلك، رصد رحّالة آخرون قيام زوج الشيوخ ببعض الأعمال الخاصة بها وبزوجها، ومساعدتها نساء العشيرة ووقوفها إلى جانبهن في وقت الأزمات. وأبلغ دليل على ذلك ما أورده الرحّالة من نماذج للمرأة البدوية، زوج الشيخ، أو الشبيخة، أنها قامت بدور مؤثر في الحياة العامة؛ ومثلهم في ذلك عمشة زوج صنفوق، سلطان البر، شيخ شمر الجربا<sup>(48)</sup>، التي تذكر أن بلنت أنها أهم شخصية بعد الشيخ، وترى بلنت أنها «شخصية نسائية من النوع الوقور الجليل، ومحط تقدير وإجلال بين كل القبائل في الجزيرة الشمالية [...] إنها الآن عجوز سمينه، والبدانة مقبرة الجمال، وعلى الرغم من وهن جسمها وعجزها؛ فهي امرأة في شخصية مُبجّلة، ومشيئتها تُعتبر بمثابة قانون في كل المخيم»<sup>(49)</sup>. ويُضيف كيبوم لجان إنها «تُدِير شؤون قبيلة شمر من وراء اسم ابنها، ولقد كان لزوجها، شيخ العشيرة السابق، ثقة كبيرة فيها، وترسخت الثقة في قلوب أبنائها، وهي التي تجاوب على الرسائل التي ترد إلى ابنها، إنه يمثل جانب القوة، وهي تمثل جانب الحنكة والعلاقات الجيدة، وبما أنها أُمّية فقد اتخذت لها كاتباً أميناً تُملي عليه رسائلها، ويقرأ عليها الرسائل الواردة إلى ابنها»<sup>(50)</sup>.

يقدم ألويز موزيل نموذجاً آخر متمثلاً في تركية، زوج سطاتم شيخ الرولة، التي كانت «كلمتها قانوناً لا رادّ له. وكان الحديث يجري عن الضيوف ليس باعتبارهم نزلاء عند خالد، ابن سطاتم البكر، صاحب الخيمة، وإنما يُقال إنهم نزول عند أمه تركية». وكانت فوق ذلك كثيراً ما تدعو الرجال إلى مضافتها، ثم تدخل قسم الرجال وتتخذ مجلسها في المكان الأبرز وتحتكر لنفسها الحديث. وما كان لأحد، ولا الأمير ذاته، أن يجروّ على مناقشتها في أمر<sup>(51)</sup>.

جعل القانون القبلي للمرأة حُرمة لا يجوز انتهاكها؛ فإذا ما هاجمت جماعة من الفرسان مُخيمها، ليس

(46) ديكسون، ص 109.

(47) بلنت، رحلة إلى نجد، ص 270، 271.

(48) عبد العزيز سليمان نوار، «آل محمد بيت الرئاسة في عشائر شمر الجربا: دراسة في الزعامة العشائرية العراقية في القرن التاسع عشر»، المجلة التاريخية المصرية، مج 15 (1969)، ص 157.

(49) بلنت، قبائل بدو الفرات، ص 258؛ 228-229؛ Blunt, pp. 228-229.

(50) كيبوم لجان، «رحلة لجان إلى العراق 1866م»، ترجمة بطرس حداد، مجلة المورد، مج 12، العدد 3 (1983)، ص 80؛ كيبوم لجان، «رحلة لجان إلى العراق»، ترجمة بطرس حداد، في: مجموعة مؤلفين، رحالة أوروبيون في العراق (لندن: دار الوراق للنشر المحدود، 2007)، ص 265-266.

(51) ألويز موزيل، في الصحراء العربية، رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب 1908-1915، ترجمة عبد الإله الملاح (أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2010)، ص 175-176.



هناك ما يجعلها تخشى على نفسها من عدوانهم، وإذا ما اندلعت حرب بين قبيلتين «فالمراة تُشجع الرجال أن يتقدموا للقتال ببسالة من أجلها ويعودوا منتصرين. وعندما يكون على القبيلة أن تحتشد للقتال، تقوم المراة بكشف النقاب عن وجهها وتُطلق شعرها، وتعتلي مركبها القبلي؛ لبث الشجاعة في قلوب الشباب والمسنين لجلب النصر، والرجال في هذه الحالة، لا سيما إذا كانت المراة ابنة الشيخ، يُضحون بأنفسهم في سبيلها»<sup>(52)</sup>. وتنقل الليدي درور عن أحد رجال العشائر، أن «استغاثة المراة، أو صيحة الحرمة، سبب الثأر والقتل، إنها تثير نخوة الرجال في الوغى، وتوصم من يُحجم عنه بالجبن والعار، والشجاع ذو الشكيمة أثير لديها ومكين مكرم، ومن يهرب الموت يضل السبيل إلى قلب فتاة البيداء»<sup>(53)</sup>.

والخلاصة، كما يقول ديكسون، إننا «إذا وازنا بين مناقب ومثالب المراة البدوية، فالمُحصلة أنها امرأة ساحرة بكل ما فيها تقريباً. وينبع سحرها الطبيعي من كونها لا تعرف شيئاً عن العالم. ومعرفتها بالمدينة وحياتها محدودة، يُضاف إليها ما تسمعه من أقاويل، فهي لذلك كالطفلة بمرحها وبراءتها، ولكنها سريعة الغضب، وتعبس بدون سبب واضح، تملؤها الغيرة، وتُحب وتكره بعاطفة شديدة. ومع هذا باستطاعتها أن تكون أطف المخلوقات وأكثرهم تضحية، تُحب أطفالها حتى العبادة [...] كما أنها تحس بالألم في أعماقها إذا لم يرقد زوجها بالقرب منها كل ليلة»<sup>(54)</sup>.

## الفتاة البدوية

يكاد يُجمع الرحالة على أن الفتاة البدوية تتميز بجمال عينيها، وقد أحيطنا بالكحل الأسود، ونقاء البياض داخل العين، إضافة إلى الأهداب الرجراجة بحركة سريعة، وصوتها الناعم اللطيف الذي يُوحى بالضعف المُحبب لدى المراة، ومُزج هذا الصوت بالنبرات القوية التي تدل على قوة الشخصية والتصميم. وللفتاة في القبيلة من الحرية ما للرجل، ولها مكانتها الرفيعة، وهي لا تحتجب، ولا يرى البدوي في سماحه لابنته بالاشتراك في الرقص والغناء والأفراح مع بنات القبيلة وفتياتها أي غضاضة أو نقيصة. وتتمتع المراة المتزوجة بحرية أكبر من الفتاة غير المتزوجة التي تُمنع من الاختلاط بالرجال، أو تقيم معهم أي علاقات، إلا في نطاق العائلة الصغيرة فحسب، ومع ذلك يُسمح لها بالظهور أمام رجال عشيرتها من دون حرج، ولا بد لها من أن تخشى على سمعتها، «لأن أسوأ ما يحدث للمراة منهن، هو أن تلوكها الألسن. ومع هذا فهن يتصفن بحب القيل والقال، وبالخبرة في تشويه سمعة الآخرين»<sup>(55)</sup>. ويذكر ويلفرد فيسجير أن المرء لا يحتاج إلا لقليل من الإثبات حتى يُدين الفتاة بتهمة تبقى تُلزمها؛ أو إن مجرد إشاعة كافية كي تنال القتل على يد أسرتها من دون رحمة أو شفقة، وذلك حتى تسترد الأسرة شرفها وتمحو العار الذي لحق بها، ويكلف أخوها بقتلها، ولا يُمكنه تخليصها إذا ما أراد البقاء بين عشيرته<sup>(56)</sup>.

(52) ديكسون، ص 110.

(53) درور، ص 332-333.

(54) ديكسون، ص 48.

(55) المرجع نفسه.

(56) ويلفرد فيسجير، رحلة إلى عرب أهوار العراق، ترجمة خالد حسن إلياس (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006)، ص 197-198.

أعظم حدث في حياة الفتاة البدوية هو الزواج والأمومة، كما سيرد لاحقاً. والحياة الزوجية هي كل شيء لديها في الحياة، إنها تنتظر بمزيد من الصبر<sup>(57)</sup>، وتتطلع إلى ذلك اليوم الذي تزور فيه إحدى صديقات أمها زيارة خفية، فتفرح أن يتصل النسب بين الأُسرتين. إن مثل هذا اليوم يجب ألا يكون بعيداً، فالفتيات يتزوجن مبكراً. وقد تعرف الفتاة الفتى في أيام الطفولة، ولا سيما إن كان ابن عم لها، وهو الغالب، وربما يكون غريباً لم تر وجهه ولن تراه إلا في يوم الزواج. وعلى الرغم من أن واجب الفتاة أن ترضى بما يُقرره الوالدان، يُسمح بأن يرى بعضهما بعضاً<sup>(58)</sup>. والفتيات مُقَامرات، والزواج الذي تُقدم عليه البدوية، حسبما ترى الليدي درور، ميدان فسيح للحظ، والزواج عندها وسيلة لغاية هي إنجاب الأطفال. إن نصف الرقي والتعاويد التي يُعدها السحرة مخصصة لمن لا طفل لها. فالعقيم ترى أنها لم تحظ برضاء الله، وأنها مخلوق لا فائدة في وجوده، أو «درب لا ينفذ إلى شيء»، وهي لا تترك تعويذة سحرية إلا وتستعملها، كما أنها تزور الأماكن التي يعتبرونها صالحة ومراقد الأولياء وتُصلي وتضرع إلى الله تعالى عسى أن يُبدّل حالها السيئة بحالٍ حسنة<sup>(59)</sup>.

يُشير جوارماني إلى أن البدو لا يُجبرون الفتاة على أن تقبل زوجاً هي لا تتخيل صورته، والأب لا يُمكن أن يقبل بمن يتقدم للارتباط بابتته إلا بعد أن يحصل على موافقتها<sup>(60)</sup>؛ فإن كرهت زوجها المقترح، فقلة من الوالدين فحسب، تُصرّ على إتمام الزواج، ويتوقع منها أن تُطيع والدها وتوافق على اختياره لها، والفتاة البدوية حرة في اختيار من تُحب وتتزوج من تشاء، لكن لابن عمها فحسب الحق في الزواج منها أولاً<sup>(61)</sup>. ويرى الرحالة أن هذا الحق يتمّ بالموافقة والتراضي والحب بين أبناء والعمومة، كما سيرد لاحقاً. وتتمتع الفتاة البدوية بقدر كبير من الاستقلال؛ فهي لا تُعدّ نفسها مُلزَمة على الإطلاق بقرار أبيها في شأن الموضوع المُتعلق بمستقبلها، وإذا لم يحظ خاطبها برضاها أو لم يُفلح في الحصول على مودتها، فلن تتردد في رفض طلبه، أما إذا قبلت، فيُشرع في الحال باحتفالات الزفاف<sup>(62)</sup>.

## الحياة العاطفية

الحياة العاطفية حرة لدى العشائر والقبائل البدوية؛ فالفتى يستطيع مرافقة الفتاة منذ الصغر في إنجاز متطلبات الحياة اليومية، حيث ينشأ بينهما الحب منذ الطفولة. ويتسابق الشبان لكسب ود الفتيات بألعابهم ومسابقاتهم. ويروي البدو كثيراً من قصص الحب والحرمان التي يُحاول فيها الرجل استمالة قلب محبوبته المُعرضة عنه بالقيام بأعمال بطولية متميزة<sup>(63)</sup>. والغزل البريء العفيف أمرٌ مُباح ومسموح

(57) درور، ص 318.

(58) أحمد عبد الرحيم نصر، التراث الشعبي في أدب الرحلات (الدوحة): مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، (1995)، ص 253-254.

(59) درور، ص 319.

(60) جوارماني، شمال نجد، ص 315؛ وجوارماني، نجد الشمالي، ص 119.

(61) العطار، ص 25.

(62) جوسان وسافينيك، «أعراف قبيلة الفقراء (2)»، ص 759-760.

(63) أوبنهايم، ص 157.

به. وقيل الكثير من شعر الغزل الصادر عن فتيات عاشقات قلته في أحبابهن، من دون أن يُثير عليهن غضب آبائهن. فمن عشيرة بني تميم الشاعرة غزِيل تتغزل بمعشوقها، وتتغزل أخرى من العشيرة نفسها بمعشوق لها كان أبناء عمها قد منعوها من الزواج به، وتتغزل شاعرة من عشيرة شمر بمحبوبها وتذكره حين لاح لها برق من بعيد، ويتصف غزل بنات البادية بأنه غزل عُذري<sup>(64)</sup>.

وإذا ما أحب فتى فتاة حباً عفيفاً، ورغب في التقدم لخطبتها، فإنه يتودد إليها، ويناديها «يا نعامتي» أو «يا أيها الطبي الصغير»، ويتغنى بجمالها وأسباب تفضيلها على بنات القبيلة كلهن، ومع ذلك لا يستطيع أن ييوح لأحد «بحبه، لأن الحب للمحارب ضعف»، وعلى الرغم من سعيه الدؤوب لأن يكتسب حبه، فلا بد لسكان المخيم من أن يلاحظوا «كثرة تردده إلى قرب مضارب الفتاة التي يعشقها، وملاحظته لها بالنظر»<sup>(65)</sup>، و«يطيب للشباب المساعدة في استرجار الماء، وسحب الحبل خدمة للحبيبات، فهي فرصتهم للتحدث وإياهن، وملاحظتهن عن قرب، بل وقد يُتاح لهم ملامستهن»<sup>(66)</sup>. أما إذا أعلن الشاب عن حبه وعشقه، فالفتاة لا تستطيع الزواج به، لأن أباهن لن يُزوجها لرجل أبعدته الحب عن الفروسية وفنون القتال التي تُمثل مظهرًا من مظاهر الرجولة في البادية. أما إذا نظم في محبوبته شعراً أو زجلاً، فإن والدها لن يقبل أبداً أن يزوجه به؛ بل قد يُطلب منه أن يُغادر ديرة القبيلة أو أهله أيضاً، وإذا كان ابناً لشيخ العشيرة فإنه يُحرم مستقبلاً من تولي المشيخة<sup>(67)</sup>.

حبّ الفتاة البدوية كتوم بفعل القيود الاجتماعية التي فُرضت عليها، حيث لا تستطع أن تجهر بحبها، خوفاً من عيون الرقباء. ولم يمنع ذلك بعض الفتيات من الإعلان عن حُبهن وولهن بالمحبيب الذي ملك عليهن شغاف القلب في أبيات شعرية<sup>(68)</sup>. ولا تختفي مشاعر الحب واللقاء بين المحبين في المخيم البدوي، حيث يلتقي الحبيبان في إحدى الخيام الخالية أو النائبة التي لا تُطرق، وحين يكونان في خلوة يضع الحبيب سيفه بينه وبين الحبيبة مُجرّداً من غمده، في بداية كل لقاء، ويُقسم «الله يقف بيني وبينك يا بيضاء، وليضربني بهذا السيف إن أسأت إلى ثقتك وأخذت أعلى ما تملكين»<sup>(69)</sup>.

يُمثل الحب رمزاً للبدل والتضحية عند البدو، فالخُبز ترف، ومن ثمّ يمثل هدية غالية تُقدّمها الفتاة إلى حبيبها دليلاً على حُبها وبذلها<sup>(70)</sup>، ويكون تقديم الخُبز أحياناً بهذه الصورة من الفتاة «دلالة على قبول الخطبة»<sup>(71)</sup>. وتبدو مشاعر الحب البدوي عندما ذهب ألّويز موزيل لعلاج دَمَيان عبد نواف الرولة، ثم

(64) جواد العامل، الشعر البدوي في الجزيرة العربية (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2009)، ص 139، 143، 155.

(65) العطار، ص 26.

(66) موزيل، ص 139.

(67) العطار، ص 26.

(68) موزيل، ص 200-201.

(69) موزيل، ص 223. ويورد عدنان العطار قسماً آخر نصه: «بسم الله، كما أخذ الروح من هذا العود؛ فليأخذ روحي مني إذ لم أحافظ على روحك وجسدك وأحيميها يا أختاه». انظر: العطار، ص 24.

(70) موزيل، ص 249.

(71) العطار، ص 26.

طلب من زوجته العناية به، فوعده بذلك «وعيناها مغرورقتان بالدموع، وقالت: كيف لي ألا أعتني بدميَّان وروحي قد حلت به كما حلت بروح بي»<sup>(72)</sup>. ويصف ولستيد لحظة وداع بين شيخ قبيلة وزوجه التي تحبه: «لقد انكبت بيأس وتضرع على قدميه، في الوقت الذي كان فيه أخوها يُحاول دون جدوى إبعادها عن زوجها، لقد خارت قواها، وحين تراخت قبضة ذراعيها، حُمِلت بعيداً عن زوجها وهي فاقدة الوعي. لقد خُيل إليَّ أن فؤاد عبد الله سوف ينفطر، وذلك لأنه ما إن ألقى نظرة واحدة على هيكل زوجته المتداعي، حتى تساقطت قطرات قليلة من الدموع على وجنتيه، ومن ثم انفرط من ذلك المشهد المثير بخُطى سريعة»<sup>(73)</sup>.

أورد الرحالة الكثير من قصص الحب المتبادل بين الشبان والشابات إلى حدِّ الوله، كقصّة حب مطلق بن ماجد لفتاة مطيرية، والشيخ مطلق الصور لفتاة من عشيرته التابعة لمطير<sup>(74)</sup>، وأحمد شيخ الموالي لفتاة من عشيرته، وعبد الكريم بن صفوق شيخ شمر، وابنة خاله من قبيلة طيء<sup>(75)</sup>، وسطام الرولة وتركية من آل مهيد، وذليل بن مجول الرولة وشقيقة الشيخ ضاهر بن سليم<sup>(76)</sup>، وصفوق شيخ عشائر شمر وعمشة بنت شيخ عشائر طيء<sup>(77)</sup>.

## زواج المرأة

الزواج في الإسلام عقد مدني وليس سرّاً مقدساً، فبعد توقيع العقد أمام الشهود في خيمة والد العروس، تركب العروس حصان العريس أو ناقته، مرتدية ثوباً أحمرّ ومزيّنة بالأساور والخلاخيل، مع قطع ذهبية مصفورة في شعرها، إذا كانت غنية، ويركب العريس معها، ويجوسان الخيام حتى يمرا على الجميع، وبذلك يتم إخطار القبيلة كلها بالزواج<sup>(78)</sup>.

يقول ديكسون عن دوافع الزواج: «يلجأ الرجل للزواج بسبب حاجته إلى رفيق مساعد يُعدّ له طعامه ويهتم بحاجاته ويُصلح ويُجدد الخيمة، كما عليه أن يتزوج ليكون لديه من يُعدّ اللبن ويجمع الحطب، ويأتي بالماء له ولإبله. وعلى رأس كل ما سبق، إنه بحاجة لمن تُنجب له الأولاد، فهو بدونهم نصف رجل»، «ومن الواجب على البدوي أن يتزوج ويُنجب، فكلما كثر عدد أولاده، كلما ازدادت قوته، وهو يُسيء إلى قبيلته إذا رفض القيام بواجب كهذا»<sup>(79)</sup>. وتُضيف آن بلنت دافعاً آخر هو «الدعم السياسي».

(72) موزيل، ص 40.

(73) ولستيد، ص 113.

(74) ديكسون، ص 133-134.

(75) بلنت، قبائل بدو الفرات، ص 49، 114، 100، 42، pp. Blunt

(76) موزيل، ص 30، 149.

(77) Austen Henry Layard, *Nineveh and its Remains*, vol. I (Paris: Baudry's European Library, 1850), pp. 100-102.

(78) سيروك، ص 82.

(79) ديكسون، ص 125، 132.

معتبرة إيّاه «مشروع [...] حيث ستُصبح عائلتها حليفته في الحرب»<sup>(80)</sup>. ويعتقد الباحث أن ما ذهب إليه الرحالان على جانب كبير من الصواب.

ترغب الفتاة في شاب مُتَعَقِل، قوي العزيمة، لا يتوانى عن الأخذ بالثأر، كريم، غني، ذي شباب ونسب وعصبيّة، ولو شاع عن شاب أنه جبان، لن تقبل الزواج به<sup>(81)</sup>. أما الشاب، فيطلب الفتاة لعفتها وكرم أهلها ونسبهم، ولكونها تلمّ بأعمال الخدمة المنزلية. تُجسّد هذه الصفات الفردية مصلحة العشيرة العليا وتُعبّر عنها، ولا تخرج عن سياستها، وليس لمعظمها علاقة بذاتية الفرد بالمعنى الحصري، ويؤكد هذا الواقع أن كيان القبيلة هو الكيان الوحيد الذي يعيه البدوي؛ إذ لا يستطيع تجاوز إطاره حتى حين ينظر إلى نفسه<sup>(82)</sup>، فلا قيمة للفرد خارج إطار القبيلة.

تتزوج الفتاة البكر بعمر بين اثني عشر وعشرين عامًا، والشاب بين أربعة عشر وخمسة وعشرين عامًا<sup>(83)</sup>، وتُسمى الشابة المتزوجة التي لم تُنجب «بنت متجوزة»<sup>(84)</sup>. ونادرًا ما يُجبرها والدها على الزواج، حتى ولو كان زواجها سيّعيه الكثير من الإبل<sup>(85)</sup>، ويُتوقع منها أن تُطيع والدها وتوافقته على اختياره لها<sup>(86)</sup>. وتأخّر الشاب أو الفتاة في الزواج من الأمور التي تؤخذ عليهما، فعندما زار ألويز موزيل الأمير نوري الشعلان وسأله عن موعد زواج ابنه سعود، أجابه «إني لا أفهم ولا أستطيع أن أستوعب كيف يمكن لفتى أن يظل عازبًا»<sup>(87)</sup>. كما أن عدم الزواج لدى العشائري «علامة انحطاط كبيرة»<sup>(88)</sup>. والعائلات الجيدة لا تؤخر زواج أبنائها إلى ما بعد سن السادسة عشرة<sup>(89)</sup>.

ابن العم أحق بالزواج من ابنة عمه، حتى ولو لم يعلن عن رغبته فيها، والمبدأ هو إلزامية زواج أبناء العمومة بعضهم ببعض<sup>(90)</sup>. وإذا تجاوز أحد الأعمام هذه القاعدة، فإن ابن العم يستطيع أن يُبطل الزواج، مُتمسكًا بحقه القبلي الناتج من العُرف في الزواج من ابنة عمه، أما إذا تنازل فلها أن تتزوج

(80) بلنت، رحلة إلى نجد مهد، ص 260-261.

(81) الحداد، ص 26.

(82) زهير حطب، تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة، ط 3 (بيروت: معهد الإنماء العربي، 1983)، ص 43.

(83) أوبنهايم، ص 158. وفي نجد والحجاز تتزوج البنت في عمر بين 13 و14 عامًا، والولد في عمر بين 15 و16 عامًا. حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط 3 (القاهرة: دار الآفاق العربية، 1956)، ص 113.

(84) هيس، ص 253.

(85) سيبروك، ص 83.

(86) نصر، ص 253-254.

(87) موزيل، ص 222.

(88) هنري بنديه، رحلة إلى كردستان في بلاد ما بين النهرين سنة 1885، ترجمة وتعليق يوسف حبي (أربيل: دار تاراس للطباعة والنشر، 2001)، ص 68.

(89) بلنت، رحلة إلى نجد، ص 258.

(90) فيسجير، ص 253-254.

بمن تشاء<sup>(91)</sup>. «وعليها أن تحصل على موافقته إذا أرادت الزواج من غيره، أما إذا خالفت هذه القاعدة، ورفضت أن تُزف إلى ابن عمها، فله أن يقتلها دون أن يُطالب بدفع دية»<sup>(92)</sup>. فبحسب تقاليد البادية تبقى الفتاة تحت تصرفه، وعليها أن تنتظر سنوات حتى يختارها للزواج أو يعتقها<sup>(93)</sup>. وتتعلم الفتاة البدوية منذ نعومة أظفارها أن زوج المستقبل سيكون ابن عمها، إلا إذا تخلى عنها طوعاً وسمح لرجل آخر بالزواج بها، وهذا ما يندر حدوثه. ولا يملك ابن العم الحرية الكاملة في اختيار زوجته؛ إذ تقضي العادات والتقاليد البدوية بأن تتزوج الفتاة حين تبلغ سن الزواج بأقرب شاب إليها، ويكون عادة ابن أخ الوالد<sup>(94)</sup>.

قد يحدث النزاع بين أبناء العمومة أيهم أولى بالزواج من بنت عمهم<sup>(95)</sup>، وإن لم تكن لابن العم أو لأحد من إخوته رغبة في الزواج منها، أصبحت طليقة من هذا القيد، لكن عليه أن يُصرّح أنه تخلى عن حقه كي تُصبح حرة في الزواج بمن ترغب. وإذا كانت لا ترغب في الزواج بابن عمها، أو أحببت فتى آخر، فعليها أن تسأل ابن عمها أن يتخلى عن حقه في الزواج بها، وقد يفعل ذلك، خصوصاً إذا كان لا يرغب فيها، أو عُرضت عليه هدية من الراغب الذي يطلب يدها، وإذا ما أصرّ على الرفض، فلا حلّ أمامها سوى أن تفر مع حبيبها؛ ليتزوجا ويضعوا نفسيهما في حماية أحد الشيوخ، ومع هذا يبقيان مُهددين بخطر ابن عمها؛ إذ يعتبر زوجها مذنباً كالقاتل، ولن يأمن على حياته إلا بدفع فدية الدم<sup>(96)</sup>. وإذا تمكن أهل الفتاة من قتل الرجل الذي فر بابنتهم فعليهم دفع نصف الدية، لأنه هو السبب في موته<sup>(97)</sup>. ولابن العم الحق في إقامة دعوى قضائية ضد من تزوجها من دون موافقته، ويقضي العرف البدوي ببطلان الزواج، أو أن يدفع الزوج لابن العم مهر الفتاة<sup>(98)</sup>.

إذا طال العهد على الفتاة ولم تتزوج، جمع أبوها أبناء عمها الأقربين والأبعدين وأخطرهم إن كان لأي منهم رغبة فيها، وإلا فهي حرة في أن تتزوج بمن تشاء. وهناك من تزوج بسبع من بنات عمه، الواحدة بعد الأخرى... وهكذا بالتتابع. «وفيما عدا حق ابن العم، فإن الفتاة البدوية حرة في أن تُحب وتزوج

(91) عند بدو سنياء الفتاة دائماً مُحْتَجِزَةٌ لابن العم، وله أن يوافق على زواجها إذا تقدم لها أحد غيره، وفي هذه الحالة يدفع الغرب مبلغاً من المال ترضية لابن العم. انظر: حاتم عبد الهادي السيد وماجد أحمد توفيق، ثقافة البادية: ملامح الشعر البدوي في بادية سيناء (القاهرة: مركز الحضارة العربية، 1998)، ص 23.

وإذا كان ابن العم مُقْتَدِرًا على الزواج، وهي لا تريده فليس له أي حق في احتجازها أو منع أحد من أي قبيلة من الزواج بها إذا كانت راضية. وإذا اشتبه ابن العم أن هناك رجلاً آخر هو السبب في امتناع بنت عمه عن الزواج به يجوز له منعها من الزواج به بشرط إثبات ما ادعاه. انظر: رفعت الجوهري، شريعة الصحراء عادات وتقاليد (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1961)، ص 201-202.

(92) ديكسون، ص 124-125؛ درور، ص 326.

(93) بلنت، قبائل بدو الفرات، ص 346؛ 308، Blunt, p.

(94) موزيل، ص 145، 225.

(95) حافظ وهبة، ص 113.

(96) ديكسون، ص 124-125.

(97) موزيل، ص 226.

(98) بلنت، قبائل بدو الفرات، ص 360، 361؛ 322-323، Blunt, pp.

من تشاء، ومن هنا فإن أكثر الزيجات عند البدو عن حب حتى بين أبناء وبنات العم، يتفاهم فيها الشاب والفتاة على الزواج»<sup>(99)</sup>.

يرى ديكسون في التزام الفتاة الزواج بآب عمها «عادة مفيدة»؛ إذ إنها بذلك تضمن لنفسها زوجاً على الأقل حينما تبلغ سن الزواج<sup>(100)</sup>. كما يُحقق التماسك الداخلي للقبيلة والتضامن والتآزر بين أفرادها، وتأمين أسباب استمرار المعيشة، ونُشداناً مبكراً لتعزيز روابط العصبية التي تُمكنها المصاهرة، ويوفق بين بقاء الإرث في عشيرة الأب والأم على السواء، ويجعل الانتساب إلى الأم أو الأب مُمكنًا، ويُحافظ على العائلة نقية<sup>(101)</sup>.

تقضي العادة القبلية بأن تتزوج البنت الكبرى أولاً. كما أن زواج الأقارب هو المفضل، وحين سافر محمد العروق برفقة آن بلنت إلى نجد، كان بهدف «اختيار زوجة ملائمة له من بنات حمولته»<sup>(102)</sup>. وعند عشائر كعب «لو تزوج شخص بفتاة ليست ابنة عمه، فانه يقول لها ابنة عمي أو بنت عمي، ويقوم الأعمام بتزويج فتيات بعضهم أبناء بعض، أي يكون التزويج عندهم بالتبادل، ويقوم بهذا العمل عندهم القاضي»<sup>(103)</sup>.

ولا يتمتع الرجل وحده بامتياز المبادرة بطلب الزواج، فللمرأة أيضاً الحق في إبداء رغبتها والقيام بمساع لتحقيق غاياتها، فعندما تريد فتاة عقد زواج، تكشف عن عاطفتها لوالديها، ويوافق الوالدان عادة على مثل هذه التطلعات، فالأب يُجيب ابنته عند أول مكاشفة: «على خاطرِك». لكن قد يحدث أن تُخيب هذه المكاشفة آمال أبيها، فيحاول حملها على مشاركته رأيه، لكنه لا ينجح دائماً، فثمة فتيات تشبهن بحبهن الأول، واعتمدن على المستقبل في تحقيق آمالهن، وفضلن الانتظار سنين طويلة تحت خيمة الأب، على قبول رجل آخر والتضحية بعواطفهن، والفتيات اللاتي يُزوجن على الرغم منهن نادرات، لكن موافقة الأب على الزواج وحدها غير كافية، فإذا كانت الفتاة لا تزال صغيرة، فسوف ينتظرون إلى حين بلوغها قبل تقرير مصيرها، وعندما تكون في حالة تسمح لها بتقرير مصيرها بنفسها، من الواجب استشارتها<sup>(104)</sup>.

مما سبق يُمكننا الاستنتاج أن الزواج ليس شأنًا فرديًا خاصًا، يبحث فيه الفرد عن مصلحته. إنما هو وسيلة لتحقيق سياسة العشيرة ومطامحها، وفي ضوء هذا الأمر يُفهم حرص العشيرة على أن يكون الزواج مؤسسًا على التقدير الشديد للنسب، مؤيدًا بعصبية قوية، ومتى وجدت العصبية وجدت القوة، وحين تتحقق القوة تؤدي إلى الغلبة والانتصار والتفوق على العشائر الأخرى. وتحقق العشيرة الزيجات

(99) العطار، ص 25، 29.

(100) ديكسون، ص 103-104.

(101) حطب، ص 18، 40-41، 56.

(102) بلنت، رحلة إلى نجد، ص 34، 173.

(103) خورشيد باشا، رحلة الحدود بين الدولة العثمانية وإيران، ترجمة وتقديم مصطفى زهران، مراجعة الصفصافي أحمد القطوري (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009)، ص 98.

(104) جوسان وسافينياك، «أعراف قبيلة الفقراء (2)»، ص 760، 767-768.

وتوافق على إتمامها عن طريق مجلس الشيوخ، وحين يذهب وفد آل الخاطب للخطبة، يتولى أحد أعيان القبيلة، ويكون رأس الوفد، وليس والد الخاطب، الطلب نيابة عن القبيلة كلها وباسم الشاب، ويعرض والد الفتاة، الذي يكون على علم سابق بنية عشيرة الخاطب، بسبب مشاركته أو مشاركة شيخ عشيرته في مناقشة الموضوع في مجلس أعيان القبيلة، على ابنته أمر الخطبة، وينال موافقتها على قرار القبيلة، أما اللواتي تمنعن أو رفضن هذا القرار فقليلات، ويظهر بجلاء أن الزواج شأن قبلي، مع أنه يتستر بموافقة جميع الأطراف حتى ليبدو وكأنه شأن شخصي.

## الأومومة

أعظم حدث في حياة الزوجة البدوية هو أن تصير أمًا<sup>(105)</sup>؛ والزواج عند المرأة البدوية وسيلة لغاية هي إنجاب الأطفال، ويتبين مفهوم الأومومة بوضوح عندما نعرف أن الزوج وجميع أفراد العائلة يتخلون عن تسمية المرأة باسمها حالما تُنجب ولدًا، ويُنادونها باستعمال اسم المولود الجديد، فُتُصبح «أم فلان»، خصوصًا إذا كانت زوجًا لأحد الشيوخ<sup>(106)</sup>. والمرأة شأنها شأن زوجها، ترغب في أن ترى في بيتها فتيةً أقوياء، وأن تسمع الناس ينادونها بـ «أم فلان»، وهو بالنسبة إليها شرف تتلهف إلى تحقيقه، وتُكسبها هذه الأومومة مزية أخرى هي نوال الحظوة لدى زوجها، ويشد احترام الرجل البدوي للمرأة بصفة متميزة عندما تُنجب ولدًا، ولهذا الأمر، في نظرها، الأهمية نفسها التي للرجل<sup>(107)</sup>.

يُقال للمرأة التي مارست اتصالاً جنسيًا مع رجل «وحمة» في خلال الأيام الثلاثين التي لم يتضح فيها ما إذا كانت المرأة قد حملت أم لا، فإذا حملت دعيت «نازلًا» أو «حاملًا»<sup>(108)</sup>. وتسرع الزوجة فور علمها بأنها حامل لإعلام باقي نساء القبيلة، فيجتمعن ويتبادلن التهاني، «ويُصبح الأمر فرصة للفرح»<sup>(109)</sup>. ولا تُمثل الولادة عند البدو حدثًا متميزًا في الحياة اليومية؛ إذ تتم بطريقة غاية في السهولة، ولا تؤثر في الأشغال العادية للمرأة البدوية<sup>(110)</sup>، فهي حادثة كثيرة الوقوع، لأن البدوي يرى الزواج واجبًا، حتى إن أكثرهم زهدًا لا يعتبر العزوبية فضيلة، والعقم يُعد من بواعث المهانة والازدراء. وهذا هو السبب في أن البداية تحوي أماكن للزيارة تهرع إليها النساء اللواتي لم يلدن، فيتوسلن لربهن أن يُحسن إليهن بولد، ويرى الرحالة أن هذه الحالة الروحية «تُعوّض وفيات الأطفال التي تقع لديهم بكثرة»<sup>(111)</sup>.

تُعد عملية الوضع عند المرأة البدوية حدثًا فسيولوجيًا وأمرًا بسيطًا، فإذا ما شعرت بالمخاض يهرع بعض النساء المتقدمات في السن إليها ويساعدها، ولا تمضي ساعتان أو ثلاث على الوضع حتى تعود

(105) دورر، ص 318.

(106) أوبنهايم، ص 154.

(107) جوسان وسافينيك، «أعراف قبيلة الفقراء (2)»، ص 755.

(108) ألويس موزل، «أخلاق عرب الرولة وعاداتهم»، ترجمة محمد بن سليمان السديس، مجلة الدارة، مج 11، العدد 1 (1985)، ص 167.

(109) ديكسون، ص 127، 150-151.

(110) أوبنهايم، ص 160.

(111) عمار السنجري، البدو بعيون غربية (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2008)، ص 15.



النفساء إلى أعمالها المنزلية المعتادة، أما إذا أدركها المخاض في الطريق وهي راكبة، فلا تطلب قابلة، وتلد وهي راكبة على ظهر ناقتها والقوم ظاعنون، وتقطع حبل السرة بنفسها، وتلف الرضيع بثوبها، ثم تحمله<sup>(112)</sup>. أو تُنِخ بعيرها وتضع ولدها بنفسها، وهي جالسة القرفصاء، وتقطع حبل السرة وتربطها بيدها، وتلف الوليد وتحمله على ظهرها وتستأنف سيرها، وتلحق بقبيلتها لأنها تعلم أنها ستترك، ربما لتموت، إن لم تلحق بقبيلتها. والمتعارف عليه أن يتم تهنتتها بعد ذلك بأن يُقال «مبارك» في حال المولود السعيد. وحياة المرأة بعد الولادة تعود كما كانت قبلها، فلا يتغير نمط غذائها، إلا أنها «تلجأ إلى استعمال عقاقير متنوعة لإعادة حجم البطن إلى وضعه الطبيعي، أو أقل من ذلك»، وهي تُعلل ذلك بقولها «هذا ما يسر الزوج»<sup>(113)</sup>.

لا يشهد أحد الولادة أو يُسجلها؛ إذ ليس للبدو سجل إحصاء للنفوس، ومن ثم يبقى الولد جاهلاً الزمن الذي ولد فيه، وإذا حاول أحد الفضوليين أن يعرف عمر أحد الأولاد، وسأل الأب، فإنه يستدل على تاريخ الولادة من عدد سني النعجة التي ارتبطت بمولده<sup>(114)</sup>. والأم تختار اسم الطفل من دون كثير من التفكير، أو قد يفرضه تأثير معين. ومن ذلك أن زوجة نوري الشعلان، شيخ عشيرة الرولة، وضعت غلاماً، والقوم يضربون خيامهم في القرب من قلعة خفاجة، فأسمته نسبة للقلعة. وأخرى وضعت والمطر يهطل غزيراً، فسمته مطراً. وكذلك رجحت زوجة كُردي أن يرزقها الله غلاماً، فأجاب رجاءها فأطلقت عليه اسم رجا. وعانت زوجة عودة الكويكي مخاضاً عسيراً، فقالت للوليد «لسوف تُدعى عسيراً». وامتلاً قلب امرأة ثورة بسبب اتخاذ زوجها زوجة ثانية، فسَمّت ابنها «مريضاً». وضرب العبد حمار زوجته قبيل ولادة ابنها فزعلت منه، وسمّت ابنها «زعل». ولما ولدت بعد حين بنتاً قالت: «إن اسم والدك حمار، ولسوف يكون اسمك أنت بقرة». وليس ثمة حيوان أو نبات إلا ويُطلق اسمه على الولد<sup>(115)</sup>.

لا تتعجل الأم في فطام أطفالها حتى السنة الثالثة أو الرابعة، ولاحظ أدولفو ريفادينيرا ذلك، وفسره بأنه «يُسهم في تطورهم اللاحق»، ولاحظ أنهم لا يلقونهم بلفافات أو أقمطة، بل ينمون منذ ولادتهم أحراراً تلقاء في البادية، يتجولون نصف عُراة، وبرؤوس مكشوفة<sup>(116)</sup>.

يُقيم الأطفال في قسم النساء من الخيمة البدوية<sup>(117)</sup>، وتحمل الأم «وليدها مُعلّقاً على ظهرها بوساطة أرجوحة شبكية لها سيور ترتكز على جبهة الأم، وقد ترتكز على أحد الكتفين ليكون الطفل تحت ذراع الأم طلباً للدفء»، تُدعى «المصباح»، وذلك عند انتقالها من مكان إلى آخر، أو في أثناء قيامها بأعمالها

(112) موزل، ص 167.

(113) ديكسون، ص 151-152.

(114) السنجري، ص 16.

(115) موزيل، ص 115؛ موزل، ص 168.

(116) أدولفو ريفادينيرا، من سيلان إلى دمشق، ترجمة صالح علماني (دمشق: دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2008)، ص 49.

(117) هيس، ص 210.

اليومية. وينطبق هذا القول، كما يذكر ديكسون، على قبائل عجمان وبني هاجر وبني خالد والعوازم وزعب ومرة والمتنفق. بينما لا تحمل الأم في باقي القبائل وليدها في أرجوحة شبكية، فإذا ما بلغ الوليد بضعة أشهر من العمر، فإنه يُوضع في كيس من أكياس محفة الأم، ورأسه خارجاً<sup>(118)</sup>. وفي الترحال تركب النساء والأطفال الصغار على الجمال، يتبعهم الرعاة بماشيتهم، في حين يمتطي الصبيان الذين تراوح أعمارهم بين عشرة وأثني عشر عامًا المهورات الصغيرة التي لا تتجاوز أعمارها سنة واحدة<sup>(119)</sup>.

## خاتمة

بعد عرض صورة المرأة البدوية في كتابات الرحالة الغربيين، يُمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

• رسم الرحالة صورة شبه واقعية للمرأة البدوية، تؤكد أنها لم تكن في وضع اجتماعي متدنٍ كثيراً، كما يعتقد بعض الباحثين، وصوّرتُه بعضُ كتابات الرحالة والمستشرقين، وتركه تأثيرُ كتاب ألف ليلة وليلة في مخيلة الغربيين. وكذلك لم تكن تملك حرية خارجة عن التقاليد والعادات والقيم في المجتمع البدوي، وإذا كانت تلك العادات قد سمحت لها بشيء من الاختلاط، فقد كان اختلاطاً مُنظماً مُقنناً يصونها ويحافظ عليها. وأبدى كثير من الرحالة تعاطفه معها بسبب من حياتها الصعبة، وما تتحمله من مشاق يومية في المخيم البدوي، وما تقوم به من أعمال وواجبات ومسؤوليات تفوق كثيراً ما يقع على عاتق الرجل البدوي.

• قدم الرحالة وصفاً لصفات المرأة البدوية المادية والمعنوية؛ إذ رأوا فيها ملامح الجمال الشرقي، فأجمعت غالبيتهم على أنها جميلة رائعة، ذات جاذبية. واستحسن جُلهم صفاتها المعنوية، ورأوا أنها تقوم بدور إيجابي لا غنى عنه للمخيم البدوي، وأشاروا إلى تقدير الرجل البدوي لجمال المرأة وعفتها وأخلاقها. وكذلك رصد الرحالة سعادتها بحياتها ورضاها عن دورها في مجتمعها، وقناعتها بمعيشتها، وحُبها لكل ما يُحيط بها، وعدم رغبتها في ترك ديارها ومغادرتها، ولو إلى حياة قد تفوقها راحة ومدنية وحضارة من وجهة نظرنا؛ إذ يذكر ماكس أوبنهايم أن زوجة سَطام شيخ شمر رفضت أن تتحمل معرفة النوم حتى في خيمة بيضاء من الخيام التي يستعملها أهل المدن، وأمرت أميرة مصرية في عهد الخديوي عباس الأول، وكانت ابنة شيخ بدوي، بنصب خيمة لها فوق سطح القصر الذي تعيش فيه<sup>(120)</sup>.

• أخيراً، أكد الرحالة الغربيون أن للمرأة دوراً كبيراً في حياة القبيلة، سياسياً واجتماعياً واقتصادياً؛ فهي تُستشار في زواجها وفي أمور بيتها وفي أمور تخص قومها وعشيرتها، وزواجها يُحقق للعشيرة قوتها، لأنها تلد لها محاربيها المستقبلين، فهي ابنة مصونة وأمٌ مقدرة وزوجة مُحترمة. وأجمع الرحالة الذين

(118) ديكسون، ص 156-157.

(119) لويس اثنيدي مورس، البحث عن الحصان العربي، مأمورية إلى الشرق: تركيا، سورية، العراق، فلسطين، ترجمة عبد الله بن إبراهيم العمير (الرياض: دار الملك عبد العزيز، 2007)، ص 229.

(120) أوبنهايم، ص 36.

رجع الباحث إلى كتاباتهم على أن لها مكانة خاصة، جعلت منها «حُرمة»، لا يجوز انتهاكها حتى ولو كانت القبيلة في حالة عداً مع قبيلة أخرى، وأشاروا إلى تمتّعها بحرية كاملة في قراراتها المصيرية، خصوصاً الزواج، وإرادة كاملة في اختيار حياتها.

## References

## المراجع

### العربية

آشر، جون. «مشاهدات جون آشر في العراق». ترجمة جعفر خياط، مجلة سومر. مج 21. ج 1، 2 (1965).

ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة، القاهرة: المكتبة التجارية، [د. ت.].

أوبنهايم، ماكس وأرش برونيش وفرنر كاسكل. البدو، ما بين النهرين «العراق الشمالي» وسورية. ترجمة ميشيل كيلو ومحمود كيبو. تحقيق وتقديم ماجد شبر. ج 1. لندن: شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2007.

أوبنهايم، ماكس. رحلة إلى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة. مراجعة وتدقيق محمود كيبو. بغداد: دار الوراق للنشر، 2007.

البادي، عوض. الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية (منطقة الجوف ووادي السرحان) 1845-1922. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2002.

باشا، خورشيد. رحلة الحدود بين الدولة العثمانية وإيران. ترجمة مصطفى زهران. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009.

بلنت، آن. الحج إلى نجد مهد العرق العربي. ترجمة صبري محمد حسن. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2007.

\_\_\_\_\_ . رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية. ترجمة أحمد إيش. دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2005.

\_\_\_\_\_ . قبائل بدو الفرات عام 1878. ترجمة أسعد الفارس ونضال خضر معيوف. دمشق: دار الملاح للطباعة والنشر، 1991.

بنديه، هنري. رحلة إلى كردستان في بلاد ما بين النهرين سنة 1885. ترجمة يوسف حبي. أربيل: دار تاراس للطباعة والنشر، 2001.

بيل، ليدي. رسائل جيرتروود بيل 1899-1914. ترجمة رزق الله بطرس. بيروت: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008.

- جوارماني، كارلو. شمال نجد، رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم في العام 1864. ترجمة صبري محمد حسن. القاهرة: دار الهلال، 2010.
- \_\_\_\_\_ . نجد الشمالي، رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم في عام 1864م. ترجمة أحمد إيش. أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2009.
- الجوهري، رفعت. شريعة الصحراء عادات وتقاليد. القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1961.
- حجر، جمال محمود. الرحالة الغربيون في المشرق الإسلامي في العصر الحديث. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008.
- الحداد، ميهاي فضل الله. رحلتي إلى بلاد الرافدين وعراق العرب. ترجمة نائر صالح. بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2004.
- حطب، زهير. تطور بنى الأسرة العربية والجزور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة. بيروت: معهد الإنماء العربي، 1983.
- درور (الليدي). على ضفاف دجلة والفرات. ترجمة فؤاد جميل. لندن: شركة الوراق للنشر المحدودة، 2008.
- دوبريه، ريجيس. رحلة دوبريه إلى العراق 1807-1809. ترجمة عن الفرنسية وتعليق الأب بطرس حداد. بغداد: شركة الوراق للنشر المحدودة، 2011.
- دي مورس، لويس اثبتيا. البحث عن الحصان العربي، مأمورية إلى الشرق: تركيا، سورية، العراق، فلسطين. ترجمة عبد الله بن إبراهيم العمير. الرياض: دار الملك عبد العزيز، 1428.
- ديكسون، هارولد. عرب الصحراء. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1996.
- ديلافاليه، بيترو. رحلة ديلافاليه إلى العراق مطلع القرن السابع عشر. ترجمة بطرس حداد. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006.
- ديولافوا (مدام). رحلة مدام ديولافوا من المحمرة إلى البصرة وبغداد 1881م / 1299هـ. ترجمة علي البصري. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007.
- روسو، لوي جاك. رحلة إلى الجزيرة العربية سنة 1808. ترجمة بطرس حداد. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010.
- ريفادينيرا، أدولفو. من سيلان إلى دمشق. ترجمة صالح علماني. دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2008.

- السنجري، عمار. البدو بعيون غربية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2008.
- سيبروك، ويليام ب. مغامرات في بلاد العرب. ترجمة عارف حديفة ونبيل حاتم. دمشق: دار المدى للنشر والتوزيع، 2006.
- السيد، حاتم عبد الهادي. ثقافة البادية: ملامح الشعر البدوي في بادية سيناء. القاهرة: مركز الحضارة العربية، 1998.
- العامل، جواد أحمد. الشعر البدوي في الجزيرة العربية. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2009.
- عبد الكريم، خليل. العرب والمرأة، حضرة في الأساطير المخيم. بيروت: دار الانتشار العربي، 1988.
- العتار، عدنان. تقاليد الزواج الدمشقي: البدوي والريفي والحضري. دمشق: دار سعد الدين للنشر والتوزيع، [د.ت.].
- فريزر، جيمس بيلي. رحلة فريزر إلى بغداد سنة 1834. ترجمة جعفر الخياط. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006.
- فيسجير، ويلفرد. رحلة إلى عرب أهوار العراق. ترجمة خالد حسن الياس. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006.
- لجان، كيووم. «رحلة لجان إلى العراق 1866م». ترجمة بطرس حداد. مجلة المورد. مج 12. العدد 3 (1983).
- مجموعة مؤلفين. رحلة أوروبيون في العراق. لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2007.
- موزل، ألويس. «أخلاق عرب الرولة وعاداتهم». ترجمة محمد بن سليمان السديس. مجلة الدارة. العدد 1، السنة 13 (شوال 1407).
- موزيل، ألويز. في الصحراء العربية، رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب 1908-1915. عبد الإله الملاح. أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2010.
- نصر، أحمد عبد الرحيم. التراث الشعبي في أدب الرحلات. الدوحة: مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1995.
- نوار، عبد العزيز سليمان. «آل محمد بيت الرئاسة في عشائر شمر الجربا، دراسة في الزعامة العشائرية العراقية في القرن التاسع عشر». المجلة التاريخية المصرية. مج 15 (1969).
- هويبر، شارل. رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878-1882. ترجمة إلسار سعادة. بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2003.

- هيس، جوهن جاكوب. بدو وسط الجزيرة (عادات، تقاليد، حكايات وأغان). ترجمة محمود كيبو. محمد تقديم سلطان العتيبي. بغداد: دار الوراق للنشر المحدودة، 2010.
- سافينياك، جوسان. «أعراف قبيلة الفقراء (2)». ترجمة محمود سلام زناتي. مجلة العرب. ج 11، 12. السنة 27 (تشرين الثاني/ نوفمبر - كانون الأول/ ديسمبر 1992).
- \_\_\_\_\_ . «أعراف قبيلة الفقراء (4)». ترجمة محمود سلام زناتي. مجلة العرب. ج 3، 4. السنة 28 (آذار/ مارس - نيسان/ أبريل 1993).
- \_\_\_\_\_ . «أعراف قبيلة الفقراء (6)». ترجمة محمود سلام زناتي. مجلة العرب. ج 7، 8. السنة 28 (تموز/ يوليو - آب/ أغسطس 1993).
- ولستيد، جيمس ريموند. رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا. ترجمة سليم طه التكريتي. بغداد: مطبعة ثويني، 1984.
- وهبة، حافظ. جزيرة العرب في القرن العشرين. القاهرة: دار الآفاق العربية، 1956.

#### الأجنبية

- Layard, Austen Henry. *Nineveh and its Remains*. 2 Vols. Paris: Baudry's European Library, 1850.
- Blunt, Lady Anne. *Bedouin Tribes of the Euphrates*. New York: Harpers & Brothers Publisher, 1879.